

لن أقع في بحر
ميت مرة
أخرى



منشورات مؤسسة هينرش بُل - فلسطين والأردن
تحت رخصة المشاع الإبداعي التالية:

<https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/deed.ar>

الكاتب
فارس سباعنة

كاريكاتور
محمد سباعنة

مديرة الإنتاج ومنسقة المشروع
دانا أبو ليل



هذه المادة متوفرة بموجب رخصة المشاع الإبداعي «نسب المصنّف - غير تجاري - الترخيص بالمثل 4.0 دولي» (CC BY-NC-SA 4.0)، ونصّها موجود على الرابط:

<https://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/4.0/deed.ar>

بالإمكان نسخ وتوزيع ونشر العمل، وذلك ضمن الشروط التالية:
نسب المصنّف — يجب عليك نسب العمل لصاحبه بطريقة مناسبة، وتوفير رابط للتخخيص، وبيان إذا ما قد أُجريت أي تعديلات على العمل. يمكنك القيام بهذا بأي طريقة مناسبة، ولكن على ألا يتم ذلك بطريقة توحي بأن المؤلف أو المرخص مؤيد لك أو لعملك.
غير تجاري — لا يمكنك استخدام هذا العمل لأغراض تجارية.
الترخيص بالمثل — إذا قمت بأي تعديل، تغيير، أو إضافة على هذا العمل، فيجب عليك توزيع العمل الناتج بنفس شروط ترخيص العمل الأصلي.

في حال استخدام او نشر الرسومات المنفردة في هذا الإصدار يجب استخدام الإسناد التالي إلى جانب الرسم:
«مؤسسة هينرش بُل - لن أقع في بحر ميت مرة أخرى | فارس و محمد سباعنة (CC-BY-NC-SA 4.0)»

الآراء الواردة هنا هي آراء المؤلفين، ولا تعبر بالضرورة عن رأي مؤسسة هينرش بُل - فلسطين و الأردن.

نامال رابيرا صياد خمسيني يلقي بشبكته بين شباك الصيادين في البحر الواسع





لماذا يبارك الرب في شبكة ناهال هكذا..

لابد أنه يضعها في الليل داخل مواد خاصة
تجعل السمك يأتي إليها..



حفيدتي (بولا) بلغت الخامسة مع عمها ، حينها الجميلة تبدو مثل
الملائكة عندما أدخل وأجدها نائمة في الصباح

لكنك تنسى نفسك يا صديقي مع حقلك أو تنزوح بعد وفاة زوجتك

ابنتي وحفيدتي ليس
لهمما مخيري وأنا لا
أريد شيئاً من الحياة
غير أن أظل قادراً على
مسؤولياتهما حتى تكبر
الصغيرة وتخرج من
الجامعة





...وفي كل مرة تمتلئ فيعاش شبكتي يتعمق يقيني أن الرب يحبني لأجل الطفلة الصغيرة

...أنت يا أبي تتعب كثيراً، وأنا أريد أن أساعدك



لا أريد أن تعمل أجيرة عند أحد. سأفتح لك مخبزك الذي تريدونه. هذا كل ما أتمناه الآن..



بعد مرور ١٢ عاما

لقد تعب والدك فجأة ووقع في قاربه فأخذناه إلى
المستشفى



حيه وقعت في البحر خفت ان لا اراك
ثانية يا صغيرتي



لقد تعرض لأزمة قلبية حادة نتيجة
الإجهاد.. فعمره لا يسمح له بأن يقوم
بعذا العمل الشاق



أنت تعرف أنني له أتخلي عنك، لكنك يجب أن تواجه ظرفك
الجديد، فرق العملة كبير جداً بين بلدنا والبلاد العربية



أريدك أن ترافقها وتأكد بنفسك من الشركة وتسال عن أشخاص
سافروا من خلالها وإذا واجهوا أية مصاعب

حصلت على فرصة ممتازة من خلال إحدى شركات
التشغيل بمبلغ ٣٠٠ دينار
أريدك أن تغذ صديقك أو يقبل بسفري



أعدك بأن أكون الفتاة التي ربيتها.. أنا قوية وأتحمل
المسؤولية يا أبي







الفيلا الجديدة كبيرة، لقد اتفق زوجي مع مكيب
لإستقدام الخادمتان وعرفت أن خادمتي اسمها
«بيلا»



وحاولي أن تشمي بالحنها وتفحصي نظافتها
الشخصية قبل أن تعطيهما غرفة للنوم.
هؤلاء يسكنون أحياء قذرة ويعيشون فوق
المستنقعات وبيد الحشرات، ويعبدون أشياء
غريبة، ربما تعمل في السحر والشعوذات



يجب أن تتبعيه من السرقات. لا تتركه مالا أو
مجوهرات مكشوفة حتى تعرفي سلوكها

بل ذعي مالا في مكان مشكوف وواقبي كيف تتصرف!
حتى تعرفيها على حقيقتها



أنا قلقة بشأن الخادمة الجديدة، لا أعرف نظافتها وأمانتها ولا دينها.. سأختبرها في
البداية حتى أطمئن إلبها



تشعر بيلا للمرة الأولى منذ وصولها ببعض الراحة والانفراج، عندما تحدث معها أحد

تفضلني يا بيلا صحيح؟
I am Hala .. om Husam
(أنا هالا... أم حسام)



اذهبي الى الحمام ونظفي نفسك جيداً
(wash yourself very good
..ahh? Do you listen?
very good)



أريد أن أستحم وأنام قليلاً وأخبر ملابستي
لكنني لست أطلب شيئاً منها، هي تحضر لي كل
شيء بكل تأكيد

هل سوف
تطلب الاستحمام من تلقاء نفسها
أم أنها كما حذرتني صديقتي لا تهتم لنظافتها
الشخصية؟



دعني هذه الفرشة هنا ونامي
لدرأحي..



هي امرأة طيبة، ربما استخدمت هذه
الطريقة الغريبة في الكلام لأنها لا تجد
الإنجليزية مثلي، ولا تجد اختيار الألفاظ
المهذبة..





Can I use the phone please
(هل بإمكانتي استخدام الهاتف لو سمحتي؟)

Little.. not too much
(قليلاً... لا تطيلي)



سوف تأخذ معي وقتاً هذه الخادمة كي أقوم
سلوكها ولأجعلها تفهم تقاليد البيت
وطريقة الحياة فيه. وإلى ذلك الحية لا
تتحدثوا أو تتعاملوا معها



من غير المعتقد بعد سفر وغربة أن تكون
مكلمتها دقيقة فقط، بالتأكيد ليست لها
عائلة، وربما تكلمت مع أحد آخر واتفقت معه
على شيء ما..



مرحباً.. أنا بخير وأعمل مع عائلة طيبة جداً.. لا أريد
أن أطيح بالمطالبة، يبدو أن سعرها مرتفع.. سوف أشترى
رقماً أرتدياً مع انترنت آخر الشهر.. كونوا بخير..



عادي وطبيعي هو اليوم الأول لي في العمل وفي
بلد جديد، سوف أنجح وأكسب ثقتها بكل تأكيد

أفراد العائلة يتجاهلون بيلا ويمشون أمامها متشككين لا يكلمونها أو يلقون التحية

لماذا يحدث معي كل هذا؟
هل أسأل صاحبة البيت عه الأمه
بصفتها الشخص الوحيد الذي
يكلمني؟ أم أنتظر قليلاً

اذهبي وانظري ماذا تفعل في المطبخ

تعلمت ذوق العائلة في صنع الشاي والقهوة، و تقدم الخدمات إلى الابنة والأب. وظلّت ملتزمة بالمسافات
التي رسمتها أم حسام. وكانت الأخيرة تشعر بأنها تسيّر الأمور بالشكل الصحيح

سأحضر لزوجتي خادمة كل شهرية لكي تظلم مشغولة عني، كم هو مريح أن تبقى
مشغولة طيلة الوقت بالخادمة وقصصها

بعد ثلاثة أسابيع فقط يمكن
القول بأن بيلا بدأت تتحول
إلى آلة تنفذ المهام بصمت،
وربما كانت مرتاحة أيضاً لتلك
المسافات، فالحواجز المرسومة
تصبح قوانيناً

لكنها لم تنتبه أن إنسانيتها
تسحب منها يوماً بعد يوم





إذا سألتني أحد
سأخبره عن مكانه



حان وقت اختبار الأمانة



سأنتظر قليلاً حتى لا
أظلمها ربما ستخبرني
عن المال بعد قليل



بيلا... يا حيوانه يا قذرة... تعالى هنا!!!

ألم تجدي ٥٠ دينار بينما كنت
تنظف البيت؟!!



أم حسام كانت قد حسمت أمرها وأصدرت حُكمها على السارقة، ودون وعيٍ منها تحركت كَفَّها تجاه وجه بيلا بحركةٍ سريعةٍ ولطمت خدَّها بضربةٍ مجنونة.. صارخةً في وجهها: أحضري المال يا سارقة



عجزَ يشلُّ كَفَّها..وعيناها ثابتتان في مكانهما مذعورتين، وراغبتين بشيءٍ وحيدٍ في تلك اللحظة، الموت.. ولا شيء غير الموت





عودي يا بيلا.. أريد
التحدث إليك



لم تكن مقاومة الخادمة كبيرة للرجل الذي يشدها، لأنها
لا تعرف في المدينة إلا بيت ام حسام، كما أن استجابة
الشباب المتحمس أشعرها أن البلد كله متآمر عليها



سارقة.. أمسكوا السارقة

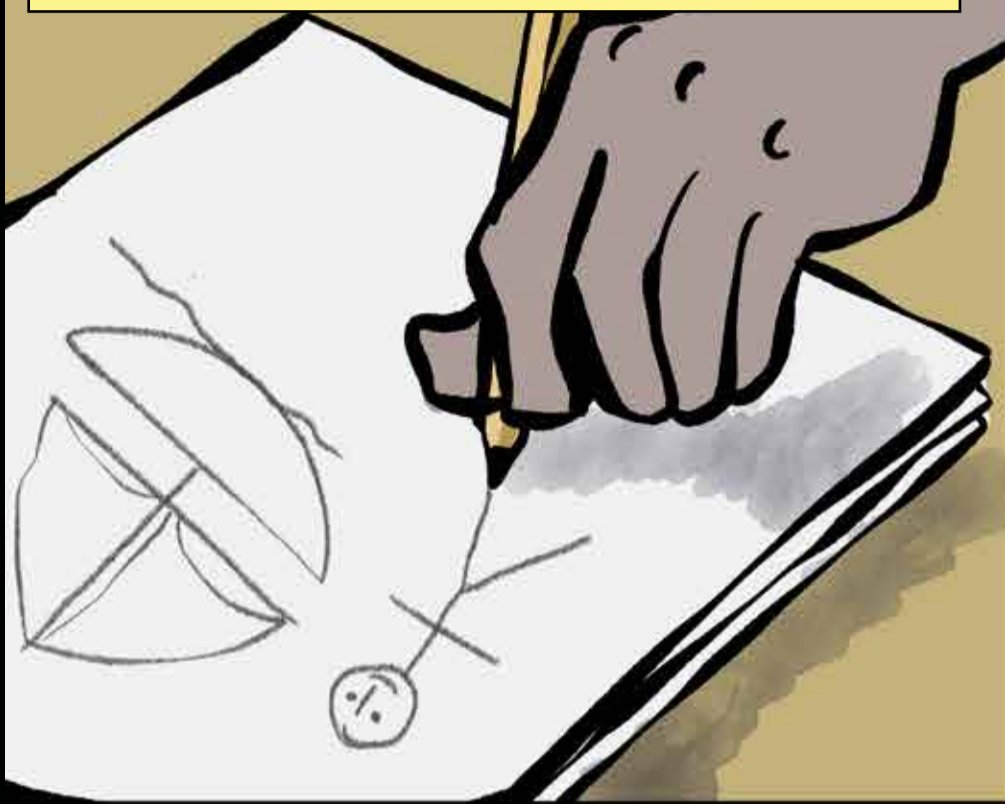


ما كان يجب أن أمزجها،
سأصلح الموقف دونه أن يعرف
زوجي بالأمه



له أهدي قبل أن أحصل على
ناتي وأعرف وجهتي

أحضرت بيلا ورقةً وقلم، وبدأت ترسمُ للسيدةِ بحراً وقاربَ صيدٍ ورجلاً يصطاد السمك بالشبك، وبلغت الإشارة والقليل من الإنجليزية والرسم استطاعت أن تخبرها أشياء عن نفسها، وأنها امرأة عزيزة في بلادها لا تقبل الإهانة



Sorry Bella, Sorry... You will not escape, right? No, escape..

(آسفة بيلا، آسفة
له تهدي صحیح؟ له تهديا)



السيدة لا تزال خائفةً أن تفضحها الخادمة وتخبر الشركة التي شغلتها أنها قد صفعتها، فكانت معنيةً أن تقطع عنها وسائل الاتصالات حتى تطمئن إليها



من تلك اللحظة بدأت العلاقة بين المرأة وخادمتها تأخذ منحىً مختلفاً، وقبضت بيلا راتبها عن الشهر الأول، وتفاجأت بان قيمة راتبها أقل مما تم الإتفاق عليه



هل يمكنك أن تساعدني وتشتري لي
خطاً أدنياً؟



سوف أتدبر أمري لوحدي

كان امتلاكها للهاتف السريّ منفذها للحياة الذي تستخرجه بعد اطمئنانها
لنوم جميع أهل البيت ، فتتسلّل إلى أحد الحمامات غير المستخدمة في البيت

منذ أسبوعيه تقريباً توقفت بيلا
عه طلبها شراء خط الهاتف،
لماذا؟

من خلال مواقع خاصة بالعمالين المهاجرين في الأردنّ ، بدأت تحدث بعضهم وتأخذ أرقامهم وشيئاً فشيئاً تبحث عن خطة للهروب حتى
عثرت على أحد السماسرة الذين يشغلون العمال المهاجرين في مزارع الأغوار مقابل مبلغٍ مقبولٍ لهم



كلّ ليلة تشعر أنها تعيش في سجن ، وأنها بذلت كثيراً من كرامتها
وإنسانيتها لأجل أحلام بسيطة ، تعليم ابنتها وكرامة والدها وذلك
المخبز الصغير الذي يبيع المعجنات

Your money with me.. you
want anything tell me..

(اموالك معي... إذا احتجت شيء
أخبريني)





اعتقدت بيلا أن هذه الفرصة لن تتكرر للهرب



اتجهت إلى الخزانة التي تضعُ فيها السيدة نقودها

وأخذت ٣٠٠ ديناراً



عندما وصلوا إلى وجهتهم في الزيارة،
استغلت بيلا انشغالهم في الأحاديث
و الترحيب وتسلمت إلى الخارج

كان معها عنوان سجّلته
على ورقةٍ لإحدى الفتيات اللواتي
كانت تتواصل معهنّ عبر الهاتف
قبل المصادرة.



استطاعت ناشا مساعدةً بيلا للوصول إلى ذلك السمسار وتواصلت معه
لتعرف كيف تستطيع الوصول إلى منطقته الموصوفة في الأغوار



لم تسمع بيلا عن شيء اسمه الإجازة مدة سنة كاملة عملتها على هذا المنوال

غداً عيد ميلادي

العواء ثقيل جداً في الخارج،
سأصعد إلى سطح هذا
المبنى..

يا إلهي!! ما هذا السطح
المائي!!؟ أيعقل أنني أهلوسه؟ أم
هو سراب أم ماذا؟

مأخوذة لأحلام يقظةٍ وحنينٍ مجنونٍ يسحبها إلى اتجاه الماء، لم تفكّر برّب العمل أو أيّ شيءٍ من واقعها المرّ.

تركضُ وتركضُ دون توقّفٍ، لقد ركضت طويلاً حتى بدأ الهواء الرطبُ المالحُ يندفعُ إلى رثتها

بحر.. هذا بحر.. بحر..





ماذا حدث؟ لماذا تبكيه؟ وما الذي
أتى بكِ إلى هنا..؟



بعد الإستماع الى قصة بيلا، توجه الإثنان إلى أقرب مركز أمني، حيث شرحا للضابط المسؤول قضيتها..





حكمت محكمة الجنايات على هلا محمد محمود (الشهيرة بأم حسام) بالاشغال الشاقة المؤقتة مدة سبع سنوات وغرامه ٥٠٠٠ دينار خلافا لاحكام المادة ٩ الفقرة ج ٢/ من قانون منع الاتجار بالبشر رقم ١٠ لسنة ٢٠٢١





لك أفق في بحرٍ ممتد مرةً أخرى!